فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
• مقدمة	١
• المبحث الأول: مفهوم السياق لغةً واصطلاحاً	١-٤
• المبحث الثاني: أهمية دلالة السياق القرآني	٤-٦
• المبحث الثالث: مادة (بأس) وجذرها اللغوي واستعمالاتها	٦-٧
• المبحث الرابع: المواضع التي وردت بها (بأس) في القرآن الكريم وتفسيراتها	٨-١٩
• بعض الدراسات السابقة التي تناولت السياق القرآني	١٩-٢٠
• تعقيب على البحث	٢٠
• خاتمة	٢١
• قائمة المصادر والمراجع	٢٢-٢٣

مقدمة

إن بلاغة مفردات القرآن الكريم تُعدُّ من أبرز جوانب الإعجاز اللغوي والبياني الذي تميَّز به القرآن عن كلِّ ما سواه من كلام البشر. فالكلمات القرآنية ليست مجرد حروف تُكوِّن جُملاً، بل هي لبناتٌ مُحكمة البناء، تحمل في طياتها دقةً بالغة في الاختيار، وانسجامًا تامًّا مع السياق، وقدرةً فائقة على التعبير عن المعاني بأوجز عبارة وأبلغ أسلوب.

كلُّ كلمة في القرآن جاءت في موضعها المناسب، بحيث لا يمكن استبدالها بأخرى دون أن يختلَّ المعنى أو يضعف البيان. وهذا ما يجعل القرآن معجزةً لغويةً خالدة، تتحدى البشر أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله. فالبلاغة القرآنية لا تقتصر على جمال اللفظ وحده، بل تشمل عمق الدلالة، وإحكام التركيب، وقوة التأثير، مما يجعلها تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتظلُّ مصدر إلهامٍ للدارسين والباحثين في علوم اللغة والأدب.

ومن هنا، فإن دراسة بلاغة مفردات القرآن تُعدُّ مفتاحًا لفهم أسرار هذا الكتاب العظيم، وتكشف عن جانبٍ من جوانب إعجازه التي لا تنفد عجائبها، مما يؤكد أن القرآن هو كلام الله تعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحثُّ على التدبُّر والتأمُّل في معانيه وأحكامه، وتُبيِّن أهمية التفكُّر في آيات الله ﷻ. ومن هذه الآيات: قوله تعالى ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (ص: ٢٩). هذه الآية تُؤكِّد أن الغاية من إنزال القرآن هي التدبُّر في آياته، والاتعاظ بما فيه من حِكَمٍ وعِبَر. وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد: ٢٤). هنا يوجه الله تعالى المؤمنين إلى ضرورة التدبُّر في القرآن، ويُحذِّر من إغلاق القلوب عن فهمه والعمل به. وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ (النساء: ٨٢). هذه الآية تُشير إلى أن التدبُّر في القرآن يُظهر إعجازه واتساقه، ويُثبت أنه من عند الله.

المبحث الأول: مفهوم السياق لغةً واصطلاحاً

جاء في معجم مقاييس اللغة (سوق) السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. يقال ساقه يُسوقه سَوقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ. ويقال سقتُ إلى امراتي صَدَاقها، وأسَقْتُه. والسُّوق مشتقّةٌ من هذا، لما يُساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق، إنمّا سُمّيت بذلك لأنَّ الماشي ينْساق عليها. ويُقال امرأةٌ سَوقاء، ورجلٌ أسَوق، إذا كان عظيمَ الساق. والمصدر السَّوق (١).

[1] معجم مقاييس اللغة، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، ت (٣٩٥ ه)، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ج٣، مصر: دار الفكر للطباعة والنشر، ص١١٧.

و(سوق) في حديث القيامة: " يكشف عن ساقه " الساق في اللغة: الأمر الشديد. وكشف الساق مَثَلٌ في شدة الأمر، كما يُقال للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثمَّ، ولا غُلّ، وإنما هو مثل في شدة البخل. وكذلك هذا لا ساق هناك، ولا كشف. وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد، يقال: شمّر عن ساعده، وكشف عن ساقه؛ للاهتمام بذلك الأمر العظيم (١).

ومنه حديث على ﷺ: " قال في حرب الشُّراة (٢) لابد لي من قتالهم، ولو تلفت ساقي ". قال ثعلب: " الساق هاهنا النفس".

وفيها أيضاً حديث رسول الله ﷺ :" لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة ". السُّويقة: تصغير الساق، وهي مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها. وإنما صغَّر الساقين؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحُمُوشة(٣).

وفي حديث معاوية: " قال رجل: خاصمت إليه ابن أخي، فجعلت أُحُجُّه، فقال: أنت كما قال

أنَّي أُتيح له حرباءُ تَنْضُبةٍ لا يُرسلُ السّاق إلاَّ ممسكاً ساقاً

والشاعر أراد بالساق هاهنا الغصن من أغصان الشجرة، المعنى: لا تنقضي له حُجّةٌ حتى يتعلق بأُخرى، تشبيهاً بالحرباء، وانتقالها من غصن إلى غصن، تدور مع الشمس.

وفي حديث الزبرقان: " الأسوق الأعنق " هو الطويل الساق، والعنق. وفي صفة مشية النبي ﷺ : " كان يُسوقُ أَصحابَهُ "، أي: يُقدِّمُهم أمامه، ويمشي خلفهم تواضعاً منه ﷺ ، ولا يدع أحد يمشي خلفه. ومنه حديث النبي ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من بني قحطان، يسوقُ الناسَ بعصاه "، هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه، واتفاقهم عليه، ولم يرد نفس العصا، وإنما ضربها مثلاً لاستيلائه عليهم، وطاعتهم له، إلاّ أن ذكرها دليلاً على عسفه (٤) بهم، وخشونته عليهم.

وفي حديث أم معبد: " فجاء زوجها يسوق أعنُزاً ما تساوق "، أي: ما تتابع. والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضاً. والأصلُ في تساوق: تتساوق، كأنها لضعفها، وفرط هُزالها، تتخاذل، ويتخلف بعضها عن بعض. وفيه: " وسوَّاق يسوق بهن "، أي: حادٍ يحدو بالإبل، فهو يسوقهن بحُدائه، وسوّاق الإبل يقدُمُها. وفي حديث الجمعة: " إذا جاءت سُويّقةٌ "، أي: تجارة، وهي تصغير السوق، سُميت بها لأن التجارة تجلب إليها، وتُساقُ المبيعات نحوها. وفيه: " دخل سعيد على عثمان وهو في السوق "، أي: في

١النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن مُحَمَّد الجزري المعروف بابن الأثير، ت (٦٠٦)، تحقيق: احمد بن مُحَمَّد الخراط، ج٥، قطر: وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، ص ٢٠٤٦

٢الشُّراة هم الخوارج

٣ النهاية في غريب الحديث والأثر: مصدر سابق، ص٢٠٤٦

٤ عسف فلاناً أي أخذه بالعنف

النزع، كأن روحه تُساقُ لتخرج من بدنه، ويُقال له: السياق أيضاً، وأصله سِواق، فقلبت الواو ياء لكسرة السيّن، وهما مصدران من ساق يسوق (١).

وفيه صفة الأولياء:" إن كانت السّاقة كان فيها، وإن كان في الحرس كان فيه ". السّاقة: جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه. وفي حديث المرأة الجونية التي أراد النبي ﷺ أن يدخل بها، فقال لها: " هَبِي لي نفسك، فقالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟"، السوقة من الناس: الرعية ومن دون الملك. وكثير من الناس يظنون أن السوقة هم أهل الأسواق (٢).

من خلال ما سبق عرضه في تعريف السياق لغةً يتضح الآتي:

- جاءت في موضع بمعنى الوفاء في سداد الدين.
- جاءت في موضع بمعنى سواقة الدواب والبهائم.
- جاءت في موضع بمعنى ساق الإنسان.
- كما جاءت معبرةُ عن الأمر العظيم الهام.
- وجاءت بمعنى التحقير في شأن ذو السويقتين.
- وجاءت بمعنى الانقياد والتسلسل واللحوق.
- وجاءت لتعبر أحياناً عن أغصان الأشجار.
- وجاءت بمعنى المكان الذي يُنصب فيه التجار بضائعهم للبيع والشراء.
- وجاءت في موضع لتعبر عن عامة الناس دون الملوك والأمراء.

لذلك فإن مفهوم السياق في معنى الظرف الخارجي يرادفه في التراث العربي كلا من المقام والحال والموقف، وأن مفهوم السياق يتسع أيضاً ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النص، وسياق الموقف أو المقام الخارجي، أي أن هذا السياق كما فهمه علماء العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعاً، ويمكن تقسيمه إلى:

١- السياق اللغوي وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص.

٢- السياق الخارجي وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص (٣).

وفي السياق القرآني يُعبر عن السياق ب " نظم الآية، نسق الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملاءمة الكلام، مقتضى الكلام، الإطار العام، الجو العام، المعنى العام، القرينة، المقام، ونحوها"(٤).

١النهاية في غريب الحديث والأثر: مصدر سابق، ص٢٠٤٧-٢٠٤٨

٢نفسه

٣دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (١٩٩١)، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، مصر: دار المنار، ص ٣٠

٤دلالة السياق وأثرها في فهم نص الحديث الشريف الصحيح (٢٠١٥)، اقبال سر الختم احمد عبد الباقي، السودان: كلية اللغات والترجمة، ص٨

وقد اختلف الباحثون في تعريف السياق اصطلاحا رغم انه منصوص عليه منذ القدم فهذا الامام الشافعي رحمه الله في القرن الثاني يبوب في رسالته بابا يسميه ب " الصنف الذي يبين سياقه معناه "، ثم يسوق الأمثلة لهذا الباب في بيان دلالة السياق على المعنى، وسبب اختلاف الباحثين في ذلك أن المتقدمين لم ينصوا على تعريفه اصطلاحا وإنما نص على أهميته وبعض آثاره كالترجيح وغيره، وقد اختلف الباحثون في تعريفه، وفيها قولان:

أولا: يرى بعض الباحثين أن دلالة السياق القرآني مقصورة على المقال دون الحال وهو ما يسميه أهل اللغة بالسياق اللغوي.

ويعرّف عبد الحكيم القاسم (١) دلالة السياق بأنها:" فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده"، وعرف دلالة السياق في التفسير بأنها:" بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلّا بدليل صحيح يجب التسليم له".

كما يعرّف المثني عبد الفتاح محمود (٢) السياق القرآني بأنه: " تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انفصال أو انقطاع".

ثانياً: أن دلالة السياق القرآني تشمل المقال المتمثل بالسباق واللحاق وتشمل الحال "المقام"، فتكون دلالة السياق تنقسم إلى قسمين:

سياق المقال: ويُعَنْوَن به السباق واللحاق.

سياق الحال "المقام": ويُعَنْوَن به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه: كحال المتكلم، والمخاطب، والغرض الذي سيق له (٣).

من خلال ما تم ذكره من تعريفات للسياق ودلالته، يمكن تعريفه بأنه:" تتابع وانقياد المفردات والجُمل وتسلسلها لتوضيح معنى أو بيان شيء سابق أو لاحق ".

المبحث الثاني: أهمية دلالة السياق القرآني

إن لدلالة السياق القرآني أهميةُ بالغة في تفسير كتاب الله ﷻ ، فهي أصل أصيل من أصول هذا العلم، وتكمن أهميتها في كونها تفسيراً للقرآن بالقرآن نفسه، حيث إنها بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة؛ بل إن سياق الآية وسياق المقطع من أعلى مراتب تفسير

١دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص٦٢

٢نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية (٢٠٠٨)، ط١، الأردن: دار وائل للنشر، ص٥٣.

٣السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير (٢٠٠٨)، عبد الرحمن عبد الله المطيري، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى: كلية الدعوة وأصول الدين، ص ٦٥

القرآن بالقرآن، حيث يعد ذلك من أفضل طرق التفسير وأصحها حيث أنه لا أحد أعلم بمعاني الكلام من المتكلم نفسه، فإذا تبين مراده من الكلام نفسه، فإنه لا يعدل عنه إلى غيره (١).

كذلك دلالة السياق القرآني معتبرة في الشريعة الإسلامية، فهي ليست وليدة هذه الأزمان المتأخرة، وإنما هي مرتبطة باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً منذ القدم، فلا يُفهم كلام العرب إلا ضمن سياقه، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول الله ﷻ **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين ﴾** (سورة الشعراء:١٩٢-١٩٥)، والنبي ﷺ أفصح العرب وأعلمهم بدلالات اللغة العربية (٢).

كذلك مما يدل على أهمية دلالة السياق القرآني في تفسير كلام الله ﷻ اعتبارها عند الصحابة ﷺ كأصل من أصول التفسير، وإعمالهم لها في تفسير كلام الله تعالى، فهي تستمد أهميتها بإعمال الصحابة لها من أهمية تفسيرهم؛ إذ هو الأصل الثالث من أصول التفسير بعد تَطَلُّبه من القرآن نفسه، ومن السُنّة النبوية. يقول شيخ الإسلام بن تيمية (٣) – رحمه الله– :" وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السُنّة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين".

وأخيراً ... مما يبرز أهمية دلالة السياق القرآني كلام العلماء عن أهميتها منذ القِدم، فأقوالهم تزخر في بيان أهميتها، فمنها:

يقول الإمام مسلم بن يسار (٤)–رحمه الله–: " إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده".

- ويقول الإمام محمد بن ادريس الشافعي [٥] –رحمه الله– مبيناً أثرها وارتباطها باللغة العربية: " وتبتدئ العرب الشيء من كلامها، يبين أول لفظها عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله".

---

١ عبد الرحمن عبد الله المطيري: مرجع سابق، ص ٧٥-٧٦

٢ نفسه

٣مقدمة في أُصول التفسير، لابن تيمية تقي الدين احمد بن عبد الحليم (٦٦١- ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عدنان زرزور، ط٢، ١٩٧٢، ص٩٥.

٤هو أبو عبد الله مسلم بن يسار البصري، مولى بني أمية، تابعي جليل ثقة وفقيه وزاهد وعابد ورع، كان كثير الصلاة وكثير الخشوع، توفي رحمه الله سنة ١٠٠ هـ، انظر (المعارف لابن قتيبة ص٢٣٤)

٥الرسالة، للإمام المطلبي مُحَمَّد بن ادريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ)، تحقيق وشرح: احمد مُحَمَّد شاكر، ط١، ١٩٣٨، مصر: الناشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص ٥٢

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن السياق له أهمية كبيرة في النص، وأن المفسر لكلام الله لابد أن ينظر في السياق من جميع جوانبه، ولا يكتفي بالألفاظ وحدها فهو يبين المجمل ويعين المحتمل ويخصص العام ويقيد المطلق، ولابد من رد آخر الكلام على أوله، فإن فرق في أجزائه فلا يتوصل إلى المُراد، فاللفظة لها معناها المعجمي واللغوي، ولها معنى آخر من خلال سياقها، ولا يمكن أن نميز معناها إلا من خلال السياق؛ لأن معنى الكلمة يختلف من سياق إلى آخر والخلاصة أن الكلمة لا تفهم إلا من خلال سياقها ()[1]

المبحث الثالث: مادة (بأس) وجذرها اللغوي واستعمالاتها

في السطور التالية نتتبع مادة بأس وجذرها اللغوي واستعمالاتها من خلال استعراض عدد من المعاجم اللغوية.

جاء في لسان العرب (٢) بأس: الليث: البأساء اسم الحرب والمشقة والضرب. والبأس: العذاب. والبأس: الشدة في الحرب. وفي حديث على ﷺ: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ. يريد الخوف ولا يكون إلا مع الشدة.

وقال ابن الأعرابي (٣): البأس والبئيس على مثال فعل، العذاب الشديد. ابن سيده (٤): البأس الحرب ثم كثر حتى قيل لا بأس عليك، ولا بأس أي لا خوف.

١أثر السياق في النظم القرآني (مادة سبق أنموذجاً) (٢٠١٧)، على بن سليمان الزبن، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، مج ٣٠، ع٧، ص ٢٨٥.

٢مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي ت(٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ج٢، ١٤١٤ هـ، ص٩-١٠.

٣هو إمام اللغة أبو عبد الله، مُحَمَّد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة .روي عن : أبي معاوية الضرير ، والقاسم بن معن ، وأبي الحسن الكسائي. وعنه : إبراهيم الحربي ، وعثمان الدارمي ، وثعلب ، وأبو شعيب الحراني ، وشمر بن حمدويه ، وآخرون. ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة. ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه ، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يعرفان شيئا . [ص: ٦٨٨] قال مرة في لفظة رواها الأصمعي : سمعتها من ألف أعرابي بخلاف هذا. قال ثعلب : لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة ، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان ، وما رأيت بيده كتابا قط . انتهى إليه علم اللغة ، والحفظ. قال الأزهري : ابن الأعرابي صالح زاهد ورع صدوق ، حفظ ما لم يحفظه غيره ، وسمع من بني أسد ، وبني عقيل فاستكثر ، وصحب الكسائي في النحو. وأبوه عبد سندي. قلت : له مصنفات كثيرة أدبية ، وتاريخ القبائل ، وكان صاحب سنة واتباع . مات بسامرا في سنة إحدى وثلاثين ومائتين. قيل : كان ربيب المفضل بن مُحَمَّد الضبي صاحب " المفضليات " ، فأخذ عنه. وكان يقول : جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء . يقال : مات في ثالث عشر شعبان .

٤ هو إمام اللغة أبو الحسن ، علي بن إسماعيل المرسي الضرير ، صاحب كتاب " المحكم " في لسان العرب ، وأحد من يضرب بذكائه المثل. قال أبو عمر الطلمنكي : دخلت مرسية ، فتشبث بي أهلها ليسمعوا علي " غريب المصنف " فقلت : انظروا من يقرأ لكم ، وأمسك أنا كتابي ، فأتوني بإنسان أعمى يعرف بابن سيده ، فقرأه علي كله ، فعجبت من حفظه . قال : وكان أعمى ابن أعمى . [ص: ١٤٥] قلت : وكان أبوه أيضا لغويا ، فأخذ عن أبيه ، وعن صاعد بن الحسن. قال الحميدي هو إمام في اللغة والعربية ، حافظ لهما ، على أنه كان ضريرا ، وقد جمع في ذلك جموعا ، وله مع ذلك حظ في الشعر وتصرف. أرخ صاعد بن أحمد القاضي موته في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وقال : بلغ الستين أو نحوها. قال اليسع بن حزم : كان شعوبيا يفضل العجم على العرب .وحط عليه أبو زيد السهيلي في " الروض " فقال : تعثر في " المحكم " وغيره عثرات يدمى منها الأظل ويدحض دحضات تخرجه إلى سبيل من ضل ، حتى إنه قال في الجمار : هي التي ترمى بعرفة . (ص: ١٤٦) وقال أبو عمرو بن الصلاح : أضرت به ضرارته قلت :

فلولا أن قوله من باس في حكم قوله من بأس، مهموزا ؛ لما جاز أن يجمع بين بأس، هاهنا مخففا، وبين قوله من الشمس لأنه كان يكون أحد الضربين مردفا والثاني غير مردف. والبئس: كالبأس. وإذا قال الرجل لعدوه: لا بأس عليك فقد أمنه ؛ لأنه نفى البأس عنه، وهو في لغة حميّر لبات أي لا بأس عليك.

ولبات بلغة أهل حميّر: لا بأس ؛ قال الأزهري: كذا وجدته في كتاب شمر. وفي الحديث :نهى عن كسر السكة الجائزة بين المسلمين إلا من بأس، يعني الدنانير والدراهم المضروبة، أي: لا تكسر إلا من أمر يقتضي كسرها، إما لرداءتها أو شك في صحة نقدها، وكره ذلك لما فيها من اسم الله تعالى، وقيل: لأن فيه إضاعة المال، وقيل: إنما نهى عن كسرها على أن تعاد تبراً، فأما للنفقة فلا، وقيل: كانت المعاملة بها في صدر الإسلام عددا لا وزناً، وكان بعضهم يقص أطرافها فنهوا عنه. ورجل بئس: شجاع، بئس بأسا وبؤس بأسة، أبو زيد: بؤس الرجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس شجاعا ؛ حكاه أبو زيد في كتاب الهمز، فهو بئيس ؛ على فعيل، أي شجاع. وقوله عز وجل :ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد ; قيل: هم بنو حنيفة قاتلهم أبو بكر –رضي الله عنه – في أيام مسيلمة، وقيل: هم هوازن، وقيل: هم فارس والروم. والبؤس: الشدة والفقر. وبئس الرجل يبأس بؤسا وبأسا وبئيسا إذا افتقر واشتدت حاجته، فهو بائس أي فقير (١).

ومادة (ب أ س) : البَأْسُ العذاب وهو أيضا الشدة في الحرب تقول منه بَؤُس الرجل بالضم فهو بَئِيسٌ كفعيل أي شجاع وعذاب بئيس أيضا أي شديد و بَئِسَ الرجل بالكسر بُؤْسَا و بئيسا اشتدت حاجته فهو يائِسُ و بئيسٌ اسم وضع موضع المصدر و بئسَ كلمة ذم وهي ضد نعم تقول بئس الرجل زيد وبئست المرأة هند وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان لأنهما أزيلا عن بعضهما فنعم منقول من قولك نعم فلان إذا أصاب نعمة وبئس منقول من بئس فلان إذا أصاب بؤسا فنقلا إلى المدح والذم فشابها الحروف فلم يتصرفا وفيهما أربع لغات نذكرها في ن ع م إن شاء الله تعالى ولا تبتئِسْ أي لا تحزن ولا تشتك و المُبْتَئِسُ الكاره والحزين و البَأساءُ الشدة و البُؤْسَى ضد النعمة(٢).

هو حجة في نقل اللغة ، وله كتاب " العالم في اللغة " نحو مائة سفر ، بدأ بالفلك ، وختم بالذرة . وله " شواذ اللغة " ، خمسة أسفار. وكان منقطعا إلى الأمير مجاهد العامري.

١لسان العرب، ابن منظور: مصدر سابق، ص٩.

٢مختار الصحاح، للشيخ الإمام مُحَّد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٦، ص ١٦.

المبحث الرابع: المواضع التي وردت بها (بأس) في القرآن الكريم وتفسيراتها

توطئة

البلاغة في القرآن الكريم تُعَدُّ من أبرز جوانب الإعجاز التي تميّزه عن أيّ كلامٍ آخر، فالقرآن ليس فقط كتابًا دينيًّا يحتوي على التعاليم والأحكام، بل هو أيضًا نصٌّ أدبيٌّ فريدٌ في أسلوبه وبيانه. تتمثّل بلاغة القرآن في قدرته على التعبير عن المعاني العميقة بألفاظٍ موجزةٍ ومؤثّرة، مع دقّةٍ في اختيار الكلمات وترتيبها، مما يجعلها قادرةً على إيصال الرسالة بأقوى صورةٍ ممكنة.

وسيتم عرض المواضع التي وردت بها كلمة (بأس) ومشتقاتها في آيات القرآن وتفسيرها

١- ﴿... إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ ...﴾ (١٧٧ البقرة)

جات كلمة (بأساء) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني المشقة والفقر والجوع في الموضع الأول، والموضع الثاني بصيغة (الاسم) أيضاً بمعني وقت قتال العدو

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (البأس) في هذه الآية، قال أهل التأويل في معنى ﴿**الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾، بما حدثني به الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: حدثني أبي، وحدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قالا جميعاً: حدثنا أسباط، عن السُّدِّي، عن مُرّة الهمداني، عن ابن مسعود، أنه قال: أمّا البأساء فالفقر، وأمّا الضراء فالسُّقْمُ. حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا ابي، وحدثنا المثني، قال: حدثنا الحمّاني، قالا جميعاً: حدثنا شريك، / عن السُّدِّي، عن مُرَّة، عن عبد الله في قوله ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ**﴾. قال: البأساء الجوع، والضرَّاء المرض. حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا شريك، عن السُّدِّي، عن مُرّة، عن عبد الله، قال: البأساء الحاجة، والضرَّاء المرض.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (البأس) في هذه الآية ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ**﴾ أي: الفقر؛ لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره، فإن تنعّم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٣، ص٨٦.

٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج١، ص ٨٣.

تألم، وإن أكل طعاماً غير موافق لهواه تألم، وإن عري أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً بمعنى الفقر الشديد والحاجة والألم من الفقر وعدم سد الحاجة.

٢- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤ البقرة)

جات كلمة (بأساء) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني الشدة والفقر والجوع

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (البأساء) في هذه الآية: أحسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسوله تدخلون الجنة ولم يصبكم ما أصاب من قبلكم من أتباع الأنبياء والرسل من الشداد والمحِن والاختبار، فتُبْتَلوا بما ابتُلُوا به من البأساء، وهي شدَّة الحاجة والفاقة، والضراء وهي العلل، والأوصاب. وهذه الآية –فيما يزعم أهل التأويل– نزلت يوم الخندق، حين لقي المؤمنون ما لقوا من شدة الجهد، من خوف الأحزاب، وشدة أذى البرد، وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ.

يقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (البأساء) في هذه الآية أن الله ﷻ يخبر أنه لابد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه لابد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله ولم يبالي بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم ﴿**مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ**﴾ أي: الفقر، ﴿**وَالضَّرَّاءُ**﴾ أي الأمراض في أبدانهم.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (البأساء) في هذه الآية أيضاً بمعنى الشدائد والمِحن والأمراض والخوف والفقر كما جاءت في وصف المؤمنين يوم غزوة الخندق.

٣- ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (٨٤ النساء)

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٣، ص٦٣٦.

٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج١، ص ٩٦.

جاءت كلمة بأس في الموضعين في صيغة (الاسم) وهي في الموضع الأول بمعني الحرب، والموضع الثاني بمعني قوة وعزة.

يقول الطبري (١): لعل الله أن يكف قتال من كفر بالله وجحد وحدانيته وأنكر رسالتك، عنك وعنهم، ونكايتهم. والله أشد بأسًا وأشد تنكيلا "، ويقول: والله أشد نكاية في عدوه، من أهل الكفر به = منهم فيك يا محمد وفي أصحابك، فلا تنكُلَنَّ عن قتالهم، فإني راصِدُهم بالبأس والنكاية والتنكيل والعقوبة، لأوهن كيدهم، وأضعف بأسهم، وأعلي الحق عليهم. و" التنكيل " مصدر من قول القائل: " نكلت بفلان "، فأنا أنكّل به تنكيلا "، إذا أوجعته عقوبة، كما حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: " وأشد تنكيلا "، أي عقوبة.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (بأس) و (بأساً) في الآية الكريمة ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض بعضكم بعضاً. ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: قوة وعزة.

من خلال الرجوع لتفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية بمعنى القتال في الموضع الأول، والعقوبة الشديدة والتنكيل في الموضع الثاني.

٤- (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) (٤٢ الأنعام)

جات كلمة (بأساء) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني الشدة والفقر والجوع

يقول الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (البأساء) في هذه الآية ﴿**مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ**﴾. يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء، ﴿**بِالْبَأْسَاءِ**﴾. وهي شدة الفقر، وضيق في المعيشة، ﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾. وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام.

يقول السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (البأساء) في هذه الآية ﴿**فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ أي: بالفقر والمرض والآفات والمصائب، رحمةً منا بهم ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (البأساء) في هذه الآية أيضاً بمعنى ضيق المعيشة والأمراض والعلل الجسدية والآفات والمصائب.

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٧ ص ٢٦٧

٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللوّيحق، ط١، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م، مج ٢، ص ١٩٠.

٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٩، ص٢٤٢.

٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٥٦.

٥- ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣ الأنعام)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، القول في تأويل قوله ﷻ ﴿**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾. وهذا أيضاً من الكلام الذي فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما تُرك، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الأمم التي كذبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا. ثم قال: ﴿**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾. ولم يُخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضراء. ومعنى الكلام: ولقد أرسلنا إلى أمم قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون، فلم يتضرعوا، فلولا إذ جاءهم بأسُنا تضرَّعوا.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية ﴿**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾. أي استحجرت فلا تلين للحق.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (البأساء) في هذه الآية أيضاً بمعنى ضيق المعيشة والأمراض والعلل الجسدية والآفات والمصائب

٦- ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥ الأنعام)

جاءت كلمة (بأس) في الآية بصيغة (الاسم) بمعنى القتل والعذاب.

يقول الطبري(٣) ﴿**وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ فإنه يعني : يقتل بعضكم بيد بعض. والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلام فيقتله به : " قد أذاق فلان فلانا الموت " ، و " أذاقه بأسه " وأصل ذلك من : " ذوق الطعام " وهو يطعمه ، ثم استعمل ذلك في كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة ، أو مرارة ومكروه وألم. وقال حدثني محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن المفضل قال :حدثنا أسباط ، عن السدي : " ويذيق بعضكم بأس بعض " بالسيوف. قال : حدثنا أبو النعمان عارم قال : حدثنا حماد ، عن أبي هارون العبدي ، عن عوف البكالي أنه قال في قوله : " ويذيق بعضكم بأس بعض " قال : هي والله الرجال في أيديهم الحراب ، يطعنون في خواصركم . حدثني المثنى قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: " ويذيق بعضكم بأس بعض " قال: يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب .حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال:

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٩، ص٢٤٣.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٥٦.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج١١، ص٣٠٠-٣٠١.

حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: عذاب هذه الأمة أهل الإقرار بالسيف ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ وعذاب أهل التكذيب، الصيحة والزلزلة.

ويقول السعدي (١) في تفسيره لكلمة (بأس) ﴿**شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ أي: في الفتنة، وقتل بعضكم بعضاً، فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع ذلك فقد أخبر أنه قادر على ذلك، ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف، ولكن عاقب من عاقب منهم بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون.

ومن خلال ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً بمعنى القتل والعذاب والحروب.

٧- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (١٤٨ الأنعام)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

يقول الطبري (٢) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية ﴿**حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا**﴾: حتى أسخطونا، فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه، فعطِبُوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة، يقول: وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلُهم، إن هم لم يُنيبوا، فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم.

ويقول السعدي (٣) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (البأساء) في هذه الآية أيضاً بمعنى عقاب الله ﷻ للكافرين الذين عصوه واستكبروا فاستحقوا غضب الله عليهم فعاقبهم بالأمراض والشدائد والأمراض لعلهم يرجعون لطريق الهداية.

٨- ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ (٤ الأعراف)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

١تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج ٢، ص ٢٦٠.

٢جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٩، ص ٦٥٠.

٣تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج ٢، ص ٢٧٨.

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، يقول تعالى ذكره ﷻ لنبيه محمد ﷺ : حذر هؤلاء العابدين غيري، والعادلين بي الآلهة/ والأوثان سخطي، لأحل بهم عقوبتي فأُهلكهم كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم، فكثيراً ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصوني وكذبوا رسولي، وعبدوا غيري، ﴿**فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا**﴾. يقول: فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاً قبل أن يصبحوا، أو جاءتهم قائلين، يعني نهاراً في وقت القائلة.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية ﴿**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا**﴾ أي: عذابنا الشديد. ﴿**بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾ أي: في حين غفلتهم، وعلى غرتهم غافلون، لم يخطر الهلاك على قلوبهم، فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التي كانوا يرجونهم، ولا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصي.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأسنا) في هذه الآية أيضاً بمعنى عقاب الله ﷻ للكافرين والعذاب الشديد الذي نزل بالكفار في غفلة منهم ولم يخطر ببالهم وقوعه.

٩- ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٥ الأعراف)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب والعقاب الشديد

يقول الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، يقول تعالى ذكره: فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها، إذ جاءهم بأسُنا وسطوتنا بياتاً أو هم قائلون- إلاّ اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين، وبربهم آثمين، ولأمره ونهيه مخالفين.

استخدم الإمام السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، نوع السياق الأعلى وهو تفسير القرآن بالقرآن؛ حيث ذكر الآيات **(وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (11)فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (12)لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ (13)قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (14)فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ)** ﴿١١-١٥ الأعراف﴾

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأسنا) في هذه الآية أيضاً بمعنى عقاب الله ﷻ للكافرين والعذاب الشديد الذي نزل بالكفار في غفلة منهم ولم يخطر ببالهم وقوعه.

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٠، ص٥٨.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٨٣.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٠، ص٦٢.
٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٨٣.

١٠- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (٩٤ الأعراف)

جات كلمة (البأساء) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (البأساء) في هذه الآية، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مُعرِّفه سنّته في الأمم التي قد خلت من قبل أمته، ومذكّر من كفر به من قريش؛ لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله، والتكذيب لنبيه محمد ﷺ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ**﴾ **قبلك** ﴿**إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ**﴾ وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها. حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا احمد، قال: ثنا أسباط، عن السدى: ﴿**أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾. يقول بالفقر والجوع.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (البأساء) في هذه الآية ﴿**بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ أي: بالفقر والمرض وأنواع البلايا.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (البأساء) في هذه الآية أيضاً بمعنى الفقر والمرض وأنواع متعددة من الابتلاءات.

١١- ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (٩٧ الأعراف)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

يقول الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، يقول تعالى ذكره: ﴿**أَفَأَمِنَ**﴾ يا محمد ﴿**أَهْلُ الْقُرَىٰ**﴾ المكذبة بالله ورسوله أن يُسلك بهم مسلك سلافهم من الأمم المكذبة الله ورسله، في تعجيل العقوبة لهم كما عُجلت لهم، وقد سلكوا سبيلهم في تكذيب الله ورسوله وجحود آياته ف ﴿**يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا**﴾ يقول: عقوبتنا﴿**بَيَاتًا**﴾ يعني: ليلاً، ﴿**وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾

ويقول السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية ﴿**أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا**﴾ أي: عذابنا الشديد. ﴿**بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ أي: في غفلتهم، وغرتهم راحتهم.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأسنا) في هذه الآية بمعنى العذاب الشديد وتعجيل العقوبة على حين غفلة للكافرين.

١٢- ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٩٨ الأعراف)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٠، ص٣٢٧-٣٢٨.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٩٧.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٠، ص٣٣٣.
٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٩٨.

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، يقول: أو أَمِنوا أن تأتيهم عقوبتنا نهاراً عند الضحى وهم ساهون غافلون عن مجيئه، لا يشعرون به.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية ﴿**أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ أي: أي: شيء يؤمنهم من ذلك، وهم قد فعلوا أسبابه، وارتكبوا من الجرائم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟!

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأسنا) في هذه الآية بمعنى العذاب الشديد وتعجيل العقوبة على حين غفلة للكافرين.

١٣- ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦ هود)

جات كلمة (تبتئس) في الآية بصيغة (الفعل) بمعني تحزن أو تغتم

يقول الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (تبتئس) في هذه الآية ﴿**فَلَا تَبْتَئِسْ**﴾ يقول: فلا تستكن ولا تحزن. ويقول السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (تبتئس) في هذه الآية ﴿**فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ أي: فلا تحزن ولا تبالي بهم وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يُرد.

ورد معنى (تبتئس) في الآية السابقة بمعنى الحزن والضيق

١٤- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦٩ يوسف)

جات كلمة (تبتئس) في الآية بصيغة (الفعل) بمعني تحزن أو تغتم

يقول الطبري (٥) في تفسيره لكلمة (تبتئس) في هذه الآية ﴿**فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾. يقول: لا يحزنك مكانه. وقوله ﴿**فَلَا تَبْتَئِسْ**﴾. يقول: فلا تستكن ولا تحزن. وهو " فلا تفتعل" من البؤس، يقال منه: ابتأس يبتئس ابتئاساً، حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَلَا تَبْتَئِسْ**﴾. يقول: فلا تحزن، ولا تيأس.

ويقول السعدي (٦) في تفسيره لكلمة (تبتئس) في هذه الآية ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا تحزن

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٠، ص٣٣٣.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٢، ص ٢٩٨.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٣٩٠.
٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٣، ص ٣٨٢.
٥جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٤٣.
٦تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٤، ص ٤٠٢.

من خلال ما تم عرضه نجد أنه وردت كلمة (تبتئس) في تفسير الطبري وتفسير السعدي بمعنى لا تحزن ولا تيأس ولا تستكن لشيء يحزنك.

١٥- ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠ يوسف)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية ﴿**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾؛ وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل فدعوا قومهم، وأخبروهم أنه من أطاع نجا، ومن عصاه عُذب وغوى. وقوله ﴿**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾. يقول: ولا ترد عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا، عن القوم الذين أجرموا فكفروا بالله، وخالفوا رسله، وما أتوهم به من عنده.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (تبتئس) في هذه الآية ﴿**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾. أي: ولا يُرد عذابنا، عمن اجترم وتجرأ على الله.

جاءت كلمة(بأسنا) في هذا الموضع بمعنى العذاب الواقع لا محالة على القوم الذين تجرأوا على الله وكذّبوا رسله.

١٦- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١ النحل)

جات كلمة (بأسكم) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني القتال الشديد والطعن في الحرب

ذكر الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (بأسكم) في هذه الآية قال: وقولهﷻ ﴿**وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ**﴾. يقول: ودروعاً تقيكم بأسكم، والبأس هو الحرب، والمعنى: تقيكم في بأسكم السلاح الذي يصل إليكم.

ويقول السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (بأسكم) في هذه الآية ﴿**تَقِيكُم بَأْسَكُمْ**﴾ أي: وثياباً تقيكم وقت البأس والحرب، من السلاح، وذلك، كالدروع والزرد.

ومن خلال ما تم عرضه نجد أن كلمة (بأسكم) جاءت في هذا الموضع بمعنى الحرب والمبارزة.

١٧- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (٥ الإسراء)

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٤٠١.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٤، ص ٤٠٧.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٣٢١.
٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٤، ص ٤٤٦.

جات كلمة (بأس) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني القوة والبطش

يقول الطبري (١) في تفسير كلمة (بأس): أرسلنا عليكم ﴿**عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ ذوي بطش في الحروب شديد. ويقول السعدي (٢) في تفسير كلمة (بأس) ﴿**عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ أي: ذوي شجاعة وعدد وعدة، فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم ونهبوا أموالكم، وجاسوا خلال دياركم فهتكوا الدور ودخلوا المسجد الحرام وأفسدوه .وكان وعداً مفعولا لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم.

ومن خلال ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً بمعنى البطش الشديد في الحروب، والشجاعة والإقدام في القتال، وكثرة العدد والعدة.

١٨- ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (٢ الكهف)

جات كلمة (بأساً) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد والعقاب الواقع لا محالة

ذكر الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (بأساً) في هذه الآية قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق: ﴿**لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا**﴾: عاجل عقوبة في الدنيا، وعذاباً في الآخرة.

ويقول السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (بأساً) في هذه الآية ﴿**لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ**﴾ أي: لينذر بهذا القرآن الكريم عقابه الذي عنده، أي: قدره وقضاه، على من خالف أمره، وهذا يشمل عقاب الدنيا وعقاب الآخرة، وهذا أيضاً من نعمه، أن خوّف عباده، وأنذرهم ما يضرهم ويهلكهم.

جاءت كلمة (بأساً) في هذا الموضع بمعنى العقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة

١٩- ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢ الأنبياء)

جات كلمة (بأسنا) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العذاب الشديد

قال الطبري (٥) في تفسيره لكلمة (بأسنا) في هذه الآية، وقوله ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا**﴾. يقول: فلمّا عاينوا عذابنا، قد حل بهم ورأوه ووجدوا مسّه. يُقال منه: قد أحسست من فلان ضعفاً، وأحستُه منه.

ويقول السعدي (١) في تفسيره لكلمة (بأسكم) في هذه الآية ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ**﴾، يقول الله ﷻ محذراً لهؤلاء الظالمين، المكذبين للرسول، بما فعل بالأمم المكذبة لغيره من

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ١٤، ص ٤٥٠.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ص ٣٦٦.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٥، ص ١٤٥.
٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٤، ص ٤٧٠.
٥جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٥، ص ١٤٥.

الرسل، وأن هؤلاء المهلكين، لما أحسوا بعذاب الله وعقابه، وباشرهم نزوله، لم يمكن لهم الرجوع، ولا طريق لهم إلى النزوع، وإنما ضربوا الأرض بأرجلهم، ندماً وقلقاً، وتحسراً على ما فعلوا وهروباً من وقوعه.

من خلال ما تم عرضه من تفسيرات وردت لكلمة (بأسنا) في هذا الموضع، نجد أنها جاءت بمعنى العذاب الواقع لا محالة على القوم الكافرين، وأنه واقع بهم ولا يمكنهم النجاة منه جزاءاً لكفرهم وتكذيبهم للأنبياء والرسل.

٢٠- ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠ الأنبياء)

جات كلمة (بأسكم) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني القتال الشديد والطعن في الحرب

قال الطبري (٢) في تفسيره لكلمة (بأسكم) في هذه الآية، البأس: القتال. وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليُحرزكم إذا لبستموه، ولقيتم فيه أعداءكم من القتل.

ويقول السعدي (٣) في تفسيره لكلمة (بأسكم) في هذه الآية ﴿**لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ**﴾ أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب واشتداد البأس.

من خلال ما تم عرضه من تفسيرات وردت لكلمة (بأسنا) في هذا الموضع، نجد أنها جاءت بمعنى الحرب والقتال الشديد.

٢١- ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣٣ النمل)

جات كلمة (بأس) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني القوة والشدة في القتال

يقول الطبري (٤) في تفسير كلمة (بأس) في هذه الآية: قال الملأ من قوم ملكة سبأ إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان عليه السلام : نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليكِ في القتال وفي تركه. ويقول السعدي (٥) في تفسير كلمة (بأس) في هذه الآية: إن رددت عليه قوله (الملأ موجهين حديثهم للملكة) (٦)، ولم تدخلي في طاعته، فإنّا أقوياء على القتال، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي، الذي لو تم لكان فيه دمارهم، ولكنهم أيضاً لم يستقروا عليه، بل قالوا: ﴿**وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ**﴾ أي: الرأي ما رأيتِ لعلمهم بعقلها وحزمها، ونصحها لهم.

١تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٥، ص ٥٢٠.
٢جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٣٣٠.
٣تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٥، ص ٥٢٨.
٤جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٤٥٠.
٥تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٥، ص ٦٠٤.
٦تعليق للباحثة للتوضيح

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً بمعنى القوة في الحروب، والشجاعة والإقدام في القتال، وكثرة العدد والعدة في جيش مملكة سبأ.

٢٢- ﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ (٢٩ غافر)

جات كلمة (بأس) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني العقوبة والعذاب الشديد

يقول الطبري (١) في تفسيره لكلمة (بأس) في هذه الآية: ﴿**فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا**﴾ يُخبر اللهﷻ عن المؤمن من قوم آل فرعون وملئه فيقول: فمن ينصرنا من بأس الله وسطوته إن حل بنا، وعقوبته إن جاءتنا؟

ويقول السعدي (٢) في تفسير كلمة (بأس) في الآية ﴿**فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ**﴾ أي: عذابه ﴿**إِن جَاءَنَا**﴾؟ وهذا من حُسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركاً بينه وبينهم بقوله ﴿**فَمَن يَنصُرُنَا**﴾، وقوله: ﴿**إِن جَاءَنَا**﴾ ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً تعبيراً سطوة الله وعقابه وشدة عذابه لآل فرعون إن ظلوا على كفرهم.

٢٣- ﴿**قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ (١٦ الفتح)

جات كلمة (بأس) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني القوة والشدة في القتال

يقول الطبري (٣) في تفسيره لكلمة (بأس) في هذه الآية ﴿**أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾، يقول الله ﷻ ذكره لنبيّه محمد ﷺ : قل يا محمد للمخلّفين من الأعراب عن المسير معك: ستدعون إلى قتال قومٍ أُولي بأس شديد، ونجدة في الحروب.

ويقول السعدي (٤) في تفسيره لكلمة (بأس) في هذه الآية ﴿**قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾، أي: سيدعوكم الرسول ومن ناب منابه من الخلفاء الراشدين والأئمة، وهؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشبههم.

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٢٠، ٣١٤.
٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٧، ص ٧٣٧.
٣جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٤٥٠.
٤تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٧، ص ٧٩٣.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً بمعنى القوة والشجاعة في القتال.

٢٤- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥ الحديد)

جات كلمة (بأس) في الآية بصيغة (الاسم) بمعني القوة

ذكر الطبري (١) في تفسيره لكلمة (بأس) في هذه الآية ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾. يقول تعالى ذكره: وأنزلنا لهم الحديد، ﴿**فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾. يقول: فيه قوةٌ شديدة، ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾، وذلك ما ينتفعون به منه عند لقائهم العدوّ، وغير ذلك من منافعه. وقال حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد في قوله ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾. قال: البأس الشديد: السيوف والسلاح التي يقاتل الناس بها، ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ بعد؛ يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك. حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاءُ، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾: جُنةٌ وسلاحٌ، وأنزله ليعلم الله من ينصره.

ويقول السعدي (٢) في تفسيره لكلمة (بأس) في هذه الآية ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ أي: من آلات الحرب، كالسلاح والدروع، وغير ذلك. ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾، وهو ما يُشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحِرف، والأواني وآلات الحرث، حتى إنه قَلَّ أن يوجد شيء إلاّ وهو يحتاج إلى الحديد.

ومن خلال عرض ما جاء في تفسير الطبري وتفسير السعدي، جاءت كلمة (بأس) في هذه الآية أيضاً بمعنى القوة والصلابة في الحديد بما يحقق منافع للناس في أوقات السِلم، وكذلك منافعه في صناعة السلاح والدروع في أوقات الحرب.

بعض الدراسات السابقة التي تناولت السياق القرآني

١- دراسة زلاغ ميلود(٢٠٢٤)[٣]: عالج هذا البحث بالدراسة والتحليل ظاهرة تعدد معاني اللفظ في القرآن الكريم، واهتمام العلماء والدارسين القدامى والمحدثين بذلك، ولاسيما علماء التفسير، واختلاف آرائهم وتباين توجهاتهم حولها. وما نتج عن ذلك من فريق مؤيد لها وآخر منكر لها، إذ كل منهما نظر إليها من زاويته الخاصة وقدم أدلة تدعم موقفه. فيرى

١جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ٢٢، ص٤٢٦.

٢تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، مج٨، ص ٨٤٢.

٣التنوع الدلالي للفظ في السياق القرآني: مقاربة تحليلية في نماذج من الآي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، ع١، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، مارس، الجزائر، ص ١٢٩٠-١٣٠١.

المنحازون إلى الطرح الأول بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية وطبيعية، أما الاتجاه المناقض لهذا الطرح فينظر إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة نتيجة لمحاكاة الأصوات خاضعة لإرادة خارجية.

٢- **دراسة غازي وصل سالم الذبيابي(٢٠٢٤)[١]:** عنيت هذه الدراسة بالترجيح بالسياق القرآني كوجه من وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين، وأن ربط معاني الكلام بعضه ببعض على حسب سياقه أولى من الخروج به إلى معنى مخالف للسياق، وفق منهج الترجيح بالسياق القرآني، تطبيقا على تفسير ابن كثير؛ لقيمته العلمية بين كتب التفسير، ولتميّزه بذلك الوجه من وجوه الترجيح، واتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي. ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس. المبحث الأول: مفهوم الترجيح، وتحته سبعة مطالب، والمبحث الثاني: شواهد للترجيح بالسياق القرآني عند ابن كثير. ومن أبرز نتائج الدراسة: بيان أهمية الترجيح بالسياق القرآني، وبيان اهتمام ابن كثير بالسياق، واعتباره في الترجيح بين أقوال المفسرين.

٣- **دراسة أمل بنت عيد نويفع المطيري (٢٠٢٤)[٢]:** يسعى البحث إلى بيان دلالة الكلمات المترادفة في القصص القرآني، وتوضيح الفروق اللغوية الدقيقة بينها، وربطها بالسياق القرآني، وبيان موقف العلماء من قضية الترادف. واتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي. وجاء البحث في: مقدمة، وتمهيد ومبحثين، يعقبهما الخاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع. ومن أبرز النتائج التي وصل إليها هذا البحث: قضية الترادف مرتبطة ارتباطا وثيقا بالفروق اللغوية، وقد لقيت اهتماما كبيرا من العلماء، وخاصة المفسرين الذين درسوها؛ لتفسير معنى الآيات تفسيرا دقيقا. ويرتبط السياق في القصص القرآني- غالبا- بالجانب النفسي الذي ينعكس على استعمال كلمة دون مرادفتها وفقا له. والسياق هو الفيصل في تحديد الكلمة المناسبة للمعنى، وإن اجتمعت المترادفات في آية واحدة. ومن المقترحات التي خرج بها البحث ضرورة عناية الدارسين بجانب الفروق اللغوية القرآنية، ومحاولة حصر تلك الفروق في كل قصة قرآنية، ومن ثم يتأتى جمعها في معجم واحد.

تعقيب على البحث [٣]:

من خلال الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة يتبيّن الآتي:

- أهمية السياق القرآني في تحديد المعنى المقصود من الكلمة، وخاصةً إذا كانت الكلمة تحمل أكثر من معنى.
- يساعد السياق في فهم المقاصد العامة للآيات والسور، مما يعزز الفهم الشامل للقرآن.

١الترجيح بالسياق القرآني: "شواهد من تفسير ابن كثير": دراسة تطبيقية، مجلة البحث العلمي الاسلامي، مج١٩، ع٥٨، مركز البحث العلمي الإسلامي، يونيو، لبنان، بيروت. ص ٨١-١١٤.

٢الفروق اللغوية في القصص القرآني وعلاقتها بالسياق، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بجرجا، ج١، ع٢٨، مارس، مصر، ص ٢١٠٨-٢١٤٣.

٣تعقيب للباحثة

- في بعض الأحيان، يتم استنباط الأحكام الشرعية من خلال فهم السياق الذي وردت فيه الآيات.
- يساعد السياق في ربط الآيات ببعضها البعض، مما يعطي صورة متكاملة للموضوع الذي تتناوله السورة.
- السياق يشمل أيضًا فهم أسباب النزول، والتي تساعد في فهم الظروف التاريخية والاجتماعية التي نزلت فيها الآيات.
- انحسر معنى كلمة (بأس) ومشتقاتها التي وردت في آيات القرآن الكريم بين عدة معاني (العذاب الشديد – الفقر– الأمراض والعِلل–الحروب والقتال).

خاتمة

في ختام هذا الموضوع، يتجلى لنا أن السياق القرآني هو مفتاح أساسي لفهم دلالات الكلمات القرآنية وتفسيرها بشكل دقيق، ومنها كلمة (بأس) التي تعددت معانيها وفقًا لسياقاتها المختلفة. فمن خلال دراسة السياق، نستطيع أن نحدد المعنى المناسب للكلمة، سواء أكانت تعني القوة والشدة، أم الحرب والقتال، أم العذاب والعقاب، أم غير ذلك من المعاني التي تتناسب مع طبيعة الآية والسورة.

وقد أظهر البحث أن أنواع السياق القرآني – سواء كان سياقًا لفظيًا يرتبط بالترتيب اللغوي للكلمات، أو سياقًا معنويًا يتعلق بموضوع الآية أو السورة، أو سياقًا حالياً يرتبط بظروف نزول الآية – كلها تسهم في توضيح المراد من الكلمة. وهذا يؤكد أن القرآن الكريم لا يُفهم بشكل صحيح إلا من خلال النظر الشامل إلى سياقه، وليس من خلال تفسير الكلمات بمعزل عن محيطها.

ومن خلال كلمة (بأس)، نرى كيف أن السياق يوجهنا إلى المعنى المقصود، مما يعكس روعة البيان القرآني وإعجازه اللغوي. فالكلمة الواحدة قد تحمل عدة معاني، ولكن السياق هو الذي يحدد المعنى الأنسب في كل موضع. وهذا يدل على أن القرآن الكريم ليس مجرد نص لغوي، بل هو كتاب محكم، كل كلمة فيه موضوعة بدقة وإتقان.

كما أن دراسة السياق القرآني تفتح لنا آفاقًا جديدة في فهم القرآن الكريم، وتجعلنا نقف على عظمة هذا الكتاب الخالد، الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي معانيه. فكلما تعمقنا في دراسة السياق، اكتشفنا المزيد من الأسرار والدلالات التي تؤكد أن القرآن هو كلام الله المعجز.

وأخيرًا، فإن الاهتمام بدراسة السياق القرآني ليس مجرد بحث أكاديمي أو علمي، بل هو ضرورة لفهم القرآن فهمًا صحيحًا، والاستفادة من هديه في حياتنا اليومية. فمن خلال فهم السياق، نستطيع أن نطبق تعاليم القرآن بشكل صحيح، ونستلهم منه الحلول للتحديات التي تواجهنا في عصرنا الحالي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- القرآن الكريم

٢- الرسالة، للإمام المطلبي محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ)، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، ط١، ١٩٣٨، مصر: الناشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، ت (٦٠٦)، تحقيق: احمد بن محمد الخراط، ج٥، قطر: وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية.

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللوّيحق، ط١، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م.

٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي ت(٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ج٢، ١٤١٤ هـ.

٧- مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

٨- معجم مقاييس اللغة، ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، ت (٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٣، مصر: دار الفكر للطباعة والنشر.

٩- مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية تقي الدين احمد بن عبد الحليم (٦٦١- ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عدنان زرزور، ط٢، ١٩٧٢.

ثانياً: المراجع

١٠- المثني عبد الفتاح محمود (٢٠٠٨): **نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية،** ط١، الأردن: دار وائل للنشر.

١١- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي (١٩٩١): **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث،** مصر: دار المنار.

١٢- نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية (٢٠٠٨)، ط١، الأردن: دار وائل للنشر، ص٥٣.

ثالثاً: الرسائل العلمية والدوريات

١٣- **اقبال سر الختم احمد عبد الباقي (٢٠١١٥):** دلالة السياق وأثرها في فهم نص الحديث الشريف الصحيح، السودان: كلية اللغات والترجمة.

١٤- **أمل بنت عيد نويفع المطيري (٢٠٢٤):** الفروق اللغوية في القصص القرآني وعلاقتها بالسياق، **حولية كلية اللغة العربية بجرجا،** جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بجرجا، ج١، ع٢٨، مارس، مصر، ص ٢١٠٨-٢١٤٣.

١٥- **زلاغ ميلود(٢٠٢٤)**: التنوع الدلالي للفظ في السياق القرآني: مقاربة تحليلية في نماذج من الآي، **مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية،** ع١، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، مارس، الجزائر، ص ١٢٩٠-١٣٠١.

١٦- **غازي وصل سالم الذبيابي(٢٠٢٤)**: الترجيح بالسياق القرآني: "شواهد من تفسير ابن كثير": دراسة تطبيقية، **مجلة البحث العلمي الاسلامي،** مج١٩، ع٥٨، مركز البحث العلمي الإسلامي، يونيو، لبنان، بيروت. ص ٨١-١١٤.

١٧- **عبد الرحمن عبد الله المطيري (٢٠٠٨):** السياق القرآني وأُثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى: كلية الدعوة وأصول الدين.

١٨- **عبد الحكيم القاسم (٢٠١٥):** دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

١٩- **على بن سليمان الزين(٢٠١٧):** أثر السياق في النظم القرآني (مادة سبق أنموذجاً) ، جامعة الأزهر، **مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود،** مج٣٠، ع٧.